التـــــاريخ يعيد نفسه

بين المسلمين واليهود

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

للتاريخ حكم يجرى فى الحاضر والمستقبل كما يجرى فى الماضى ، فلا يحزن المسلمون إذا رأوا اليهود يجازونهم الآن على إحسانهم إساءة ، وعلى إنصافهم ظلماً وعدوانا ، فقديماً أحسن المسلمون إلى اليهود فأساءوا إليهم ، وعرضوا عليهم أن يعيشوا فى وطنهم العربى إخواناً لهم ، فرفضوا هذا العرض الكريم ، وأبوا إلا أن تكون جاهلية يمرحون فيها وينهبون ، فكان جزاؤهم الطرد من هذا الوطن ، وسيطردون إن شاء الله من وطننا بفلسطين ، ويجازيهم الله على بغيهم الجديد ، كما جازاهم على بغيهم القديم . ولو تدبر اليهود حكم التاريخ لخففوا من غلوائهم ، وخافوا حكم الله والتاريخ فيهم ، ولكنهم قوم أعماهم حب النفس ، فلا ينظرون إلى المستقبل ، ولا تنفع فيهم عظة ولاعبرة ، وهذا هو الذى جلب عليهم بغض الشعوب ، وأوقعهم فى كل ما وقعوا فيه من النكبات

استولى الروم على بيت المقدس قبيل الميلاد المسيحى ، وطردوا اليهود منه ، فلجأ فريق منهم إلى بلاد العرب ، ونزلوا بجوارهم فى يثرب وغيرها من بلادهم ، فنزلوا بينهم فى أكرم منزل ، وعاشوا بينهم فى خير جوار ، وكان العرب فى جاهليتهم دون اليهود علماً بشئون الحياة ، فاستغل اليهود جهلهم ، وأخذوا يقرضونهم الأموال بالربا الفاحش ، حتى صاروا أغنى أهل الحجاز وامتلكوا أخصب أرضه بيثرب وغيرها .

وقد كان العرب فى جاهليتهم يعيشون فى حروب دائمة لاتنقطع فشاركهم اليهود فى تلك الحروب ، وانتمسوا معهم فى تلك الجاهلية الآثمة ، وانقسموا على أنفسهم فيها ، كما انقسم العرب على أنفسهم فلم يحاولوا أن يقوموا بينهم بصلح ، أو يقضوا على شرور تلك الجاهلية ، لأنهم لايهمهم فى هذه الدنيا إلا جمع المال ، ولا يهمهم شىء من هداية الشعوب إلى ما ينفعهم فى دنياهم أو أخراهم .

وكان أهل المدينة من العرب واليهود منقسمين قبل الإسلام إلى قسمين : أولهما عرب الخزرج ومعهم بنو قينقاع وبنو النضير من اليهود ، وثانيهما عرب الأوس ومعهم بنو قريظة من اليهود وكان بين الفريقين حروب دائمة لا تنقطع ، وكان آخرها حرب بعاث ، وقد وقع قبل الهجرة بخمس سنين .

فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أراد أن يجمع بين أهل هذا الوطن من مسلمين ويهود ، وكان العرب من الأوس والخزرج قد اجتمعوا على الإسلام ، وبقى اليهود على دينهم فلم يسلموا ، فتركهم المسلمون أحراراً فى دينهم ، ولم يكرهوهم على أن يدينوا بالإسلام مثلهم .

فعقد النبى صلى الله عليه وسلم معاهدة بين المسلمين واليهود ، كانت أول معاهدة فرقت بين الدين والوطن منذ الخليقة ، وجعلت الدين لله يحاسب عليه يوم الحساب ، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وجعلت الوطن لجميع الناس ، يستوون فى حقوقه على اختلاف أديانهم وأجناسهم ، فلا عصبية ولا قومية ولا غيرها مما يفرق بين الناس فى الأرض ، ويثير الحروب والعداوات بينهم

وهذه سنة جديدة فى السياسة لم يكن للناس عهد بها قبل الإسلام ، جاءت بأصلين عظيمين جديدين فى هذه الحياة : حرية الاعتقاد ، والمساواة بين الناس فى الوطن . فلم يكن قبل الإسلام أصل من هذين الأصلين ، بل كان أهل الأديان فى حروب دائمة على الدين ، وكانت الشعوب فى حروب دائمة على استعباد بعضهم لبعض ، فأبطل الإسلام الحروب الأولى ، ونادى بها صرخة مدوية فى الأرض (لا إكراه فى الدين) وأبطل الحروب الثانية أيضاً ، وجعل هدفه هداية الناس لا استعبادهم .

فلم يسع اليهود إلا أن يوافقوا فى الظاهر على هذه المعاهدة الكريمة ، حتى لا تظهر نيتهم الخبيثة لأهل هذا الوطن الذى آواهم وأكرمهم ، وحتى لا يظهروا بمظهر الكارهين لدينهم ، وهو يدعو إلى التوحيد كما يدعون ، ويرفض عبادة الأصنام كما يرفضون ، ثم أخذوا يكيدون فى الباطن لأهل هذا الدين الذين لا ذنب لهم عندهم إلا أنهم نهضوا من جاهليتهم ، ورفضوا عبادة الأصنام إلى عبادة الله تعالى ، لأن اليهود لا يهمهم شىء من هذا ، وإنما يهمهم استغلال من يؤويهم فى وطنه ، ويرضيهم

كل الرضا أن يبقى جاهلا يعبد الأصنام ، إذا كان هذا مما يمكنهم من استغلاله ...

فأخذ اليهود يعملون على إثارة العداوة القديمة بين الأوس والخزرج ، ليتفرق جمعهم ، ويتركوا هذا الدين الذى جمع بينهم . ومما عملوه فى ذلك أن شاس بن قيس اليهودى مر على نفر من الأوس والخزرج قد جمعهم مجلس واحد ، ترفرف عليهم فيه أعلام المحبة والإخاء ، وتظاهر عليهم فيه آيات الإخلاص والولاء ، فغاظه هذا المظهر الكريم ، وقال . قد اجتمع ملأ قيلة بهذه البلاد(١) لا والله مالنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار . ثم أمر فتى من اليهود أن يعمد إليهم فيجلس معهم ، ويذكر يوم بعاث وما كان قبله من حروبهم ، وينشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيها من الأشعار ، ففعل الفتى ما أمره به شاس ، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا ، حتى توائب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه . إن شئتم رددناها الآن جذعة . وغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة(٢) السلاح السلاح . ثم خرجوا إلى تلك الحرة ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما فعلوه ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين ، فلما وصل إليهم قال لهم : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم ؟ فبكى القوم عند سماع هذه الكلمات ، وعانق بعضهم بعضا ، ورجعوا إلى ألفتهم واتحادهم .

فلما يئس اليهود من التفريق بين المسلمين انقلبوا إلى من بقى على الشرك من أهل المدينة ، وكان أكثرهم من المنافقين الذين يخفون الشرك ويظهرون الإسلام ، فحالفوهم على المسلمين ، ثم أخذوا يؤلبون القبائل العربية على حربهم ، وسموا إلى قريش فحالفوها عليهم ، ولم يتورعوا فى عداوتهم للاسلام عن تزيين الشرك وعبادة الأصنام لهذه القبائل ، وتفضيل هذا على الإسلام الذى يدعو إلى التوحيد كما يدعون ، ولم يهمهم أن يخرجوا بهذا على دينهم لأن القومية عندهم أهم من الدين ، وأمر الدنيا عندهم أهم من أمر الآخرة ، فلا يهمهم أن يبيعوا دينهم فى دنياهم ، وسعادة الآخرة فى سعادة الدنيا ، لأنهم الشعب المختار بين الشعوب ، ولا قيمة فى هذه الدنيا لغيرهم .

وكانت سياسة جهل وغباء من أولئك اليهود ، وكانت تدبيرات ظالة باغية بإزاء ما أراده الإسلام لهم من العدل والإنصاف فجازاهم الله على هذا شر جزاء ، ونصر حق الإسلام على باطلهم ، ورفع ما يدعو إليه من العدل والإخاء والمساواة على ما يدعون إليه من الظلم والعداء والتفريق ، فذهب كل ما سوله الجهل لهم فى القضاء على الإسلام أدراج الرياح ، وفشلت سياستهم الباغية الجاحدة المفرقة ، ولم ينفعهم أولئك المنافقون الذين آثروا حلفهم على حلف المسلمين ، ولو كانوا عقلاء لعلموا أن المنافق لا يبقى على حلف ، ولا يفى بعهد ، ولا يقدر على نصر ، لأنه كاذب فى دينه ضعيف فى نفسه ، فلا ينفع ولا يضر ، وشر الرجال من يصل إلى هذا العجز ، ويكون هذا حاله فى الضعف .

لقد أراد يهود المدينة أن تبقى فى جاهليتها ليستغلوا أهلها ، ورفضوا أن تكون وطنا لهم والمسلمين ، فأبى الله إلا أن تكون وطنا للمسلمين وحدهم ، وأن يحرم منها أولئك اليهود الغرباء ، فنفوا منها إلى أذرعات وغيرها ، وسيعيد التاريخ حكمه فيهم ، وسنبين فيما يأتى كيف يكون هذا الحكم .

عبد المتعال الصعيدى

(١) قيلة هى أم الأوس والخزرج .
(٢) حرة بالمدينة .

دار الامام للطبع والنشر
ن ١٠ الدمالشة عابدين مصر

تقـــدم

شرح حديث النزول

لشيخ الاسلام ابن تيمية

وقد أزال به شبهات أهل التأويل والتعطيل ونصر به مذهب السلف والسنة المحمدية الثمن ١٢ قرشاً

وتقدم قريباً :

الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

للامام ابن تيمية

قدم له وعلق عليه : الأستاذ أبو الوفاء محمد درويش الثمن ٨ قروش